

ستارنو : لك في الامر رأيك  
 بياترو : هل تحسن القراءة او الكتابة  
 ستارنو : كلاً لم ادرس على معلم ولم ادخل مدرسة  
 بياترو لذاته : هذا ما كنت ارغبه . فقد تحمق لي الامل  
 لتارنو : صحبتك السلامة  
 ستارنو : الى اللقاء سيدي (يخرج من الملهى)

### المشهد الثالث عشر

بياترو لذاته

بياترو لذاته : هل انا في مأمن من شره؟ لقد اسرعت وتكلمت ببياتي لهذا الرجل . ما العمل لو اطلع احد على الرسالة . غير ان الجميع الان غارقون ببات عميق . ومن جهة اخرى انهما بالرجل اثقة . . . ولكنه اص أرتصدق طويته او تسلم نيته ؟ فالله اعلم . ان ارسنه الى مثل كهف فيطمن الي (يخرج من الملعب ويرخي الستار)  
 (لها بقية)

## الآداب العربية

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الحقبة الثانية من القرن العشرين (١٩٠٨-١٩١٨)

استدراك

فاتنا ان نذكر بين الترفين من تصارى الشام في هذه الحقبة الثانية بعض الادبا .  
 المدودين فيها نحن نخص بهم الاسطر الآتية :

توفي قبل الحرب الكونية في ٢٧ شباط ١٩١٢ في دار مطرانية الروم الارثوذكس في زحلة الاساذ دمشقي ﴿ جرجس مرقس ﴾ رحل الى روسية فحل في عاصمتها موسكو ضيفاً كريماً. فعزات الدولة فضله وانتدبته الى تعليم اللغات الشرقية في جامعتها فلبي طلبتها واصاب هناك سمعة طيبة وثبت في منصبه ٢٥ سنة ونشر في مجلات روسية مقالات عديدة في الامور الكنائسية الشرقية وخدم الكنيسة الارثوذكسية بما كسبه من اخوية القبر المقدس اليونانية وكان ساعياً في نشر رحمة البطريرك مكاريوس زعيم الحلبي الى روسية. وقد اثبتت الدولة الروسية بمنحه رتبة جنرال مع عدة اوسمة شرفية وفي الشهر التابع لدخول تركيا في الحرب في ٢٧ ك ١ سنة ١٩١٤ فقد الوطن احد رجاله المدودين ﴿ تمار بك ملاط ﴾ ولد سنة ١٨٥٦ في بعدا وتلقى العلوم في مدرسة مار عبدا هرهريا الاكليريكية فأتقن علومها الدينية والادبية حتى اللاهوت استعداداً لقبول الدرجة الكهنوتية وتعلم اللغة السريانية فبرع فيها. ثم عدل عن الكهنوت الى التعليم في مدارس لبنان وبعده مدة انتظم في سلك اساتذة مدرسة الحكمة في بيروت وعكف على درس الفقه فانتدبته الحكومة اللبنانية الى خدمتها فخدمها في عدة وظائف في محاكم كسروان وزحلة والشوف في عهد متصرفي لبنان واصا باشا ونعوم ومظفر الى ان اعتزل الاشغال وأصيب بمرض طويل انتهى بوفاته. وكان تمار بك كاتباً مجيداً وشاعراً مطبوعاً نشر شقيقه شبلي بك ديوانه سنة ١٩٢٥ فقدمه على ديوانه الخاص. وفيه عدة قصائد تشهد له بمجودة القريحة. وقد استحسنا له قوله في الزهد :

والليب اللبيب من خاف يوماً . واتقى الله في جبل انعمال  
واتقى توبة اذا نلّ برجو . في زوال الحياة حسن المال

وفي معظم جلبة الحرب العمومية ودع الحياة احد وجوه نصارى بيروت الطيب الذكر ﴿ المر كيز ، وحى دي فريج ﴾ توفاه الله في ١٢ ايار ١٩١٦ . درس في مدرسة الدير وعين في غزير اللغات ومبادئ العلوم ثم تعاطى التجارة وحصل على ثروة واسعة وكان من انصار الآداب والعلوم مع تأصله في روح الدين . عدته الجمعية العلمية السورية المنشأة في اواسط القرن التاسع كاحد اركانها. له في نشرتها المطبوعة خطب وقصائد ومقالات ادبية

وفي العام التالي في ٨ تشرين الأول ١٩١٧ خسر العراق احد كهنته الافاضل المرونين بنشاطهم في خدمة التساريخ والعلوم الدينية ﴿ القس بطرس نصري الكلداني ﴾ الذي سبقت ترجمته في المشرق (٢١١ [١٩٢٣]: ٦٥٧-٦٦٠) كان مولده في الموصل سنة ١٨٦١ وتخرج تحت نظارة ارباب طائفته ثم في مدرسة انتشار الايمان في رومية. ولما رجع الى الموصل تخصص في تدريس العلوم الكهنوتية ولاسيما بالتعليم والتأليف فدرس العلوم الدينية العليا في المدرسة البطريركية الاكليريكية وصنف كتباً عديدة في اللاهوت والفلسفة والتاريخ تجد جذورها في آخر ترجمته

ومن كان حثهم ان يُذكروا في هذه الحقبة الثانية من القرن العشرين فذكرناهم سابقاً في عداد ذوي القرن التاسع عشر ﴿ المعلم سعد العنسي ﴾ نشر سنة ١٨٢٢ ديواناً مدح فيه اعيان ذلك الزمان وذكر حوادثه فنقلنا قطعاً عنه في الطبعة الاولى من الآداب العربية في القرن التاسع عشر (ص ٥٠-٥١) وقد عاش زمناً طويلاً حتى بلغ العشرين من القرن العشرين

## القسم الثالث

الآداب العربية من السنة ١٩١٨ الى ١٩٢٦

### الربع الاول

نظر عام في الآداب العربية بعد الحرب الكونية

كان وداعنا للحقبة الثانية من الربع الأول من القرن العشرين وداعاً مبلولاً بدموع الحزن والكآبة بعد ان انتهت بالسرور والبهجة. كيف لا وقد حلت تلك الداهية الدامية. اي الحرب الكونية التي كانت اشبه بصاعقة هائلة دوت في جو حافٍ لا

يحب حنبيا منتظر . على ان الصواعق اذا أرعدت وأرعبت وتفتجرت لا تلبث ان تهدأ فمجرتها ويسكت هزيم رعدا وتكشف سحب سهاها المتلبدة . وهكذا كان امل الشعوب يتكهنون بقصر مدة الحرب . مع ما لدى الدول من الاسلحة الحديثة التي من شأنها ان تجلب دمارا واسعا بأسرع وقت . وما أخيب ما كان ذلك الامل فطالت الحرب ونشرت الهلاك في معظم اصقاع المعمور ولم ينبج من اضرارها ذات البلاد التي لم تحض عبايا فأصيبت برجع صداها المؤلة

وما عسى ان يكون مع احوال الحرب سهم الآداب . وهل يسمع صرير الاقلام عند صلصلة السيوف او يُصغى الى صوت البلغاء مع دوي المدافع حين يكون «السيف اصدق انباء» من الكتب .

فان كانت الحرب اصابت ببلاياها انحاء المعمور فهل كان من امل ان تنجو من تيارها الآداب عموماً والآداب العربية خصوصاً وهي مع سعتها لم تبلغ مبلغ الآداب الاوربية التي بكت على ألوف من نوابغ علمائها وأصيبت ايضاً بمصاب اليم وقد تراكمت ويلات الحرب على البلاد الناطقة بالضاد لاسيا الواقعة تحت حكم الدولة العثمانية من جزيرة العرب الى حدود القفقاز ومن بحر الشام الى العجم . فأثقلت معظم المطابع وأوقفت المجلات وألقت الجرائد إلا ما ندر منها وكان اصحابها مستعبدين لتوكية . وقُتل او نُفي كثير من الادباء .

على ان هذه الحالة الحرجة لم تقتل الآداب العربية تماماً . وقد ذكرت مجلة المشرق (١٨) [١٩٢٠] : (٤٨١—٤٨٦) مطبوعات قليلة صدرت في ايام الحرب اخذها كتاب لبنان الذي عُني بنشره مع بعض اهل العلم الاختصاصيين (المشرق ١٨ : ٢٣—٢٤) . ونشر في دمشق جناب السيد كرد علي في مجلة المقتبس آثاراً عربية قديمة وكذلك الشيخ عبد القادر بدران نشر جزءين من تاريخ دمشق لابن عسار

اما مصر فلم تحمد فيها الحركة الفكرية في تلك السنين الصعبة فاستغادت الاداب العربية بما نُشر فيها من التأليف الجليلة القديمة . كصحح الاعشى للقلقشدي في عدة اجزاء . والحصائص لابن جني وديوان ابن الدُمَيْتِ والمكافأة لابن الداية والاعتصام للشاطبي وكتاب الاضنام لابن الكلبي . ولدار الكتب الخديوية في هذه المطبوعات

فضل كبير . ونشر ادبا . انقباط خطباً ويا مريمية لابن السال ولابن البركت ابن  
كبير

ومن التآليف المستحدثة المنشورة في ذلك الوقت تاريخ سينا القديم والحديث  
لنعوم بسك شقير وديوان حليم حلمي المصري وكتاب سياحتي الى الحجاز وتاريخ  
الآداب العربية لاحد اخرة المدارس المسيحية وكتب أخرى وقفنا عليها فوصفناها في  
مقالتنا الاداب العربية منذ نشوب الحرب العمومية وذكرنا ايضاً هناك بعض المطبوعات  
الشرقية التي تولى نشرها المستشرقون (راجع المشرق ١٨ [١٩٢٠]: ٤٨٧-٤٩٤)

وفي خريف السنة ١٩١٨ انتشمت عن ساحات الحرب تلك الظلمات بانتصار  
الدول المتحالفة فأتى وقت الاصلاح والاحياء كالخراب فأنه لا يتم إلا بزمن  
طويل ونفقات باهظة ورجال ذوي همه عماء .

على ان دوائى فرنسا وانكلترا اللتين فوض اليها الانتداب على البلاد العربية  
لم ترضاً باموالها وتقسيمها على الاعلين ليدأوا تلك التلة الواسعة ويردوا للبلاد  
شرفها السابق . وكان كثيرون من الناشئة قد صدأت افلامهم وفشت قواهم لكسود  
سوق الآداب فنهضوا بهيئة جديدة لخدمة مواطنهم ففهم من تولى التدريس في  
المدارس العمومية ومنهم من فتح المطابع الجديدة وانشأ المجلات والجرائد حتى بلغت  
بعد حين عدداً لم تلبثه في الازمنة السابقة للحرب ويا ليتها كلها كانت صادقة الخدمة  
معتدلة اللهجة . مبتغاة للكتابة

وكان اول من استأنف العمل لخدمة العلوم والآداب اصحاب الطبعة  
الكاثوليكية التي كان الاتراك مع مخالفتهم الالمان ضربوها ضربة كادت تكون  
قاضية عليها فنقلت ادواتها الى دمشق ولبنان ونهبت حروفها ونقوشها وورقها وكتبها  
بل تزعج حجارة ارضها فقضي على اصحابها ان يصرفوا اشهرًا طويلة ومبالغ واقرة  
ليتداركوا ذلك الخلل ويعودوا الى نشر مطبوعاتهم المشهود لها بألسن الوطنيين  
والاجانب .

فهذه ثمانى سنوات منذ من الله بانفراج على عباده وانتقدنا من تلك النكبة الهائلة  
التي حوت الارض الى متع من الدم . فيحسن بنا ان نرح النظر في احوال آدابنا

الغربية لترى ما افضت اليه امردها . من ترقق مرغوب او تقهقر مرهوب لاسيا في الشرق  
الادنى محور الشعوب الناطقة بالضاد

وما لا يُشكر ان هذه البلاد قد حصلت في هذه الحقبة الثالثة على حرية لم  
تعدها سابقاً في زمن الاتراك فان الدولة الافرنسية والانكليزية اطلقتا الحرية التامة  
للطباعة ولم تذخرا رسماً في تنشيط الآداب والعلوم لم تستثيا من ذلك سوى بعض  
الكتابات السياسية المتطرفة دفماً لاضرارها . ولو لم تحصل عاصتنا بيروت من فضل  
فرنسة على غير مكتبها العمومية وهي اول مكتبة من جندها لوجب علينا شكرها  
فاذا نتج لخدمة الآداب العربية من الفوائد بعد الحصول على هذه الحرية مع  
كثرة الكتب المتخرجين في المدارس ؟ فاين الجمعيات الادبية الراقية ؟ واين الشركات  
المولعة لتنشيط الاداب وطبع التأليف الممتازة ولمجازاة اصحابها ؟ واين المصنفات  
التي تباري المصنفات الاوربية صورة ومعنى لترجع اليها في العلوم العصرية فتفتننا  
عن الالتجاء الى اللغات الاجنبية ؟

وكم نرى في المنشورات ندرلاً تهادياً بالاناب . يتبعج اصحابها بالقي الكريمة  
وشحن مديونين ليد لاجازيب في سائر امورنا من مشاريع عمرية وعضوية وادارية  
كلها يعود انشؤها الى هتهم . وان قصرنا النظر على لغتنا فاننا لا نرى فيها من اربي  
ما كان يرمل من الزاويلن لها المجتهدين في تميزها

وكان معظم ما يصرفه الكتبة من القوى في ذلك يبرز في المجالات والجراند .  
فاما الجرائد فلنسرع الكتبة في انشائها فلما تصلح لان تُتخذ مشألاً وقدرة للفكر  
بليغة راقية اللهم إلا القليل الزهيد منها وذلك في بعض فصولها المحررة بمد نضج  
الفكر واختار الذهن

واما المجالات فكثيراً ما تأخذ مرادها عن المنشورات الاوربية فيشتم منها رائحة  
الغرابة ويُستشف من وراء كتاباتها لوانح اصلها الاجنبي ما خلا البعض منها التي لا  
تتجاوز عدد الانامل

اما المطبوعات المنفردة فان التسعين في المئة منها روايات يغلب عليها الغرام معرفة  
عن الروايات الاوربية القليلة الجدوى الشائنة للاداب . وقد راقنا منها بعض روايات  
اخلاقية وصف فيها اصحابها العادات المألوفة بين العامة لاسيا في مصر

اما الكتب الادبية فكان للدين منها قسمة الصالح فابرز المرسلون والرهبان الوطنيون والكهنة الماثرون تأليف حسنة منها لاهوتية وفلسفية ومنها روحية وزهدية ومنها تراجم ابوار وصالحين وقد وصفنا في كل اعداد المشرق منذ السنة ١٩٢٠ هذه المطبوعات وبيتنا افضلها

ومما نُشر ايضاً كتب تهذيبية ومدرسية وانشائية وشعرية لإفادة الاحداث في المدارس الوطنية ومطالعة الجمهور . والحلل في كثير منها ظاهر ونُشرت ايضاً عدّة كتب تاريخية واجتماعية وسياحات ليس بينها إلا القدر القليل ممّا لم يُنقل عن الترايخ الاجنبية كترايخ الحرب الكونية وتوايخ بعض البلدان وكبار الرجال

وقد ظهرت في مصر بعض الآثار المطبورة في زوايا النسيان كساريخ النويري « نهاية الارب في فنون الادب » وكتاب « التاج للجاحظ » و« زهرة الآداب للحصري » المطبوع سابقاً على هامش العقد الفريد و« مالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري » و« ديوان مهيار الديلمي »

ولم يجد المتشققون عن فضلهم السابق في نشر الآثار الشرقية واتقائهم الطبها وتربيتها بكل المعلومات المفيدة والفهارس الواسعة . فمّا صدر منها في مطبعتنا الكاثوليكية نقائص الاخطل وجرير وشرح ديوان المفطليات للضبي وديواني عمرو بن كلثوم والحارث بن الحلزرة وكتاب المأثور لابي العيثل

وظهرت في جهات اوردبة من آثار ابحاثهم كتاب الوزراء والكتّاب الجهشاري وكتاب صرة الارض لابي جعفر محمد بن موسى وديوان ابي ذؤيب . وشرح ديواني علقمة الفحل وعروة ابن الورد للاشممري واقسام جديدة من النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة لابن تغري بردي ومن معجم الادباء لياقوت وغير ذلك ممّا يجعل للاوربيين قصة السباق في نشر الآثار العربية

ومّا امتازت به هذه الحقبة الاخيرة سعي بعض الكتبة الى انتقاد المطبوعات النثرية والشعرية كحمّد عباس النمّاد وكزكي مبارك وكزكي ابي شادي وحسن صالح الجداوي والاب انتاس الكرملي وقسطاكي حمصي . . . وانما نود ان يكون هذا الانتقاد برواق وهدوء اظهارة للحق لا تشفياً من خصم او تحقيراً لاديب

ومن خصائص هذه الحقبة أيضاً اتساع فن الكتابة بين الأوانس وربات الحدود فنهن من يتصدّر للخطابة ويلقن المحاضرات أو من ينشئ المجلات وينشرن فصراً في الجرائد والبعض منهن يتظمن القصائد اللطيفة الرائعة لاسياً في الأمور الخاصة بالنساء وتدبير البيوت.

فهذه الامتيازات جعلت لحياتنا الحاضرة مقاماً حسناً إلا أننا وجدنا أيضاً فيها ما يدعونا إلى التنبه من تقهقر لغتنا ومخاطبتها فنلت إليها حكماً قومنا وأول آفة على لغتنا الإكثار من الدخيل لاسياً إذا لم يكن صورةً يأنس بها اللسان العربي . نعم لا تخلو اللغة العربية من الاقماط الدخيلة حتى إن القرآن العربي نطق بها وإنما كان العرب يقرّبونها إلى لغتهم ببعض التصرف في صورتها فيقول شيء من غرابتها وخشونتها

وكذلك التعابير الأجنبية زاد استعمالها لشيع لغات الاجانب بيننا ولوفرة

للتعريفات عنها

وكما أثرت تلك اللغات في العربية التصغى كذلك اللهجات "مامية اخذت تسطر على اللغة البليغة فتروج دورها السهية . ومن اعجاب ان بعض المثاقفة اخذوا ينشرون مقالات لترويج اللغات العامية زعمهم ان تلك اللهجات اقرب الى فهم الجمهور وأدعى الى نشر العلوم العصرية وهو فكر غريب لا يخطر لاحد من العقلاء على بال وقد سبق لنا في ذلك مقال طويل يتأ فيه العواقب السيئة التي تحصل بذلك فتطمس جمال لغة اجدادنا وتبسط الغرضي بين الكتاب وتبث بين البلاد العربية روح التفور والابتعاد اذ لم يبق بيننا وبينها رابط يجمعنا لما في كل لهجة من الاختلاف والتباين

واخذ غيرهم يتصرفون ايضاً بالبحر الشرية تصرفاً زائداً تزع عنها دروتها

ومسحة جمالها وكادت تشبه النثر كما فعل اصحاب النثر الشعري فجاءت كتاباتهم لا

نثراً ولا شعراً ليس لها من العربية الا الفاظها وقشرتها دون لبائها وجوهرها

(لها بقية)